بابُ
ما جاءَ في
حياءِ رَسولِ اللّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الحياءُ -لُغَةً-: تغيُّرٌ وانكِسارٌ يعتَري الإنسانَ من خَوْفِ ما يُعابُ بِهِ.

وفي الشَّرْعِ: خُلُقٌ يَبْعَثُ على اجتِنابِ القبيحِ، ويَمنَعُ منَ التقصيرِ في حَقِّ ذي الحَقِّ[١].

عن أبي سَعيدٍ الخُدْريِّ، قال: «كانَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشدَّ حَياءً منَ العَذراءِ في خِدْرِها، وكان إذا كَرِهَ شيئًا عُرِفَ في وجْهِهِ»[٢].

«**أشَدَّ حياءً منَ العَذْراءِ**» العَذْراءُ: البِكْرُ.

«**في خِدْرِها**» أي: في سِتْرِها، والخِدْرُ سِتْرٌ يُجعَلُ لِلْبِكْرِ في جَنْبِ البَيتِ.

والمعنى: أنَّ حياءَ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان أبلَغَ من حيـاءِ البِنْتِ البِكْرِ، التي تكونُ مُنعزِلَةً في مَكانٍ بعيدٍ عن مُخالَطَةِ النِّســاءِ؛ فإنَّ البِكْرَ إذا كانَتْ مُتربِّيةً في سِــترِها، تكونُ أشَدَّ حياءً لِتَستُّرِها عنِ النِّساءِ، بخلافِها إذا كانَتْ في غَيرِ بيتِها؛ لاختِلاطِها مع غيرِها، أو كانَتْ داخِلَةً خارِجَةً، فإنَّها حينَئِذٍ تكُونُ قليلَةَ الحياءِ[٣].

---

(١) فتح الباري (١/ ٥٢).

(٢) رواه البخاري (٣٥٦٢)، ومسلم (٢٣٢٠).

(٣) جمع الوسائل (٢/ ١٧٤).

«**وكان إذا كَرِهَ شيئًا عُرِفَ في وجْهِهِ**» ومعنى «عُرِفَ في وجهِهِ»: أنَّه لا يُواجِهُ أحدًا بما يَكْرَهُهُ، بل يتغيَّرُ وجْهُهُ، فيَعْرِفُ أصحابُهُ كراهَتَهُ لِذلك(١).

وهذا من أثَرِ الحَياءِ، وهو مَعلَمٌ من مَعالِمِ مَكارِمِ الأخْلاقِ.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وفي الحديثِ**: فضيلَةُ الحَياءِ، وهو من شُعَبِ الإيمانِ، وهو خَيرٌ كُلُّهُ، ولا يَأتي إلا بخَيرٍ، وهو مَحْثُوثٌ عليه، ما لَمْ يَنْتَهِ إلى الضَّعْفِ»(٢).

(١) عمدة القاري (١٦/ ١١٣).

(٢) شرح مسلم (١٥/ ٧٨).

بابُ
ما جاءَ في
حِجامَةِ رَسولِ اللّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الحِجامَةُ: منَ الحَجمِ، والحَجْمُ: المَصُّ، والحِجامَةُ: استِخراجُ الدَّمِ منَ الجِسْمِ بالمِحْجَمِ.

عن حُمَيدٍ[١]، قال: سُئِلَ أنَسُ بنُ مالِكٍ عن كَسْبِ الحَجَّامِ، فقال: احْتَجَمَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَجَمَهُ أبو طَيبَةَ، فأمَرَ له بصاعَينِ من طَعامٍ، وكَلَّمَ أهلَهُ، فَوَضَعُوا عنه من خَراجِهِ، وقال: «إنَّ أفْضَلَ ما تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الحِجامَةُ»، أوْ: «إنَّ من أمْثَلِ دَوائِكُمُ الحِجامَةَ»[٢].

«**سُئِلَ أنَسُ بنُ مالِكٍ عن كَسْبِ الحَجَّامِ**» أي: هَلْ هو طَيِّبٌ، أم خَبيثٌ؟

«**فَقال: احْتَجَمَ رسولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **حَجَمَهُ أبو طَيبَةَ**»، هو عبدٌ لِبَني بَياضَةَ، اسْمُهُ نافِعٌ، وقيلَ غَيرُ ذلك، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٣].

---

(١) هو حميد بن أبي حميد الطويل، إمام حافظ مشهور.

(٢) رواه البخاري (٥٦٩٦)، ومسلمٌ (١٥٧٧).

(٣) يراجع لترجمته: الإصابة (٧/ ١٩٥)، الاستيعاب (٤/ ١٧٠٠).

«**فأمَرَ له بصاعَينِ من طَعامٍ**»، وفي روايةٍ: «فأمَرَ له بصاعٍ من تَمْرٍ»[١].

وفي الحديث دَليلٌ على جوازِ كَسْبِ الحَجَّام، لكن رَوَى مُسلمٌ عن رافِعِ بنِ خَديجٍ، عن رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ثمَنُ الكَلْبِ خَبيثٌ، ومَهْرُ البَغيِّ خَبيثٌ، وكَسْبُ الحَجَّامِ خَبيثٌ**»[٢].

فاخْتَلفَ العُلماءُ في ذلك، قال ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**اخْتَلَفَ العُلَماءُ في هذه المَسْأَلَةِ:**

فَذَهَبَ الجُمْهُورُ إلى أنَّهُ حَلالٌ، واحْتَجُّوا بهذا الحديثِ، وقالوا: هو كَسْبٌ فيه دَناءَةٌ، وليس بمُحَرَّمٍ، فَحَمَلُوا الزَّجْرَ عنه على التَّنْزيهِ، ومنْهُم مَنِ ادَّعَى النَّسْخَ، وأنَّهُ كان حَرامًا ثُمَّ أُبيحَ، وجَنَحَ إلى ذلك الطَّحاويُّ، والنَّسْخُ لا يَثْبُتُ بالِاحْتِمالِ.

وذَهَبَ **أحْمَدُ وجَماعَةٌ** إلى الفَرْقِ بينَ الحُرِّ والعبدِ، فَكَرِهُوا لِلْحُرِّ الِاحْتِرافَ بالحِجامَةِ، ويَحْرُمُ عليه الإنْفاقُ على نَفْسِهِ منْها، ويَجُوزُ له الإنْفاقُ على الرَّقيقِ والدَّوابِّ منْها، وأباحُوها لِلْعبدِ مُطْلَقًا.

وذَكَرَ **ابنُ الجَوْزيِّ** أنَّ أجْرَ الحَجَّامِ إنَّما كُرِهَ؛ لأنَّهُ منَ الأشْياءِ التي تَجِبُ لِلْمُسْلِمِ على المُسْلِمِ؛ إعانَةً له عند الِاحْتياجِ لَهُ، فَما كان يَنْبَغي له أن يَأْخُذَ على ذلك أجْرًا...»[٣].

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**اخْتَلَفَ العُلَماءُ في كَسْبِ الحَجَّامِ:**

فَقال الأكْثَرُونَ منَ السَّلَفِ والخَلَفِ: لا يَحْرُمُ كَسْبُ الحَجَّامِ، ولا يَحْرُمُ أكْلُهُ، لا على الحُرِّ ولا على العبدِ، وهو المَشْهُورُ من مَذْهَبِ أحْمَدَ، وقال في روايةٍ عنه، قال بها فُقَهاءُ المُحَدِّثينَ: يَحْرُمُ على الحُرِّ دُونَ العبدِ.

واحتجَّ الجُمهورُ بحديثِ ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احْتَجَمَ، وأعْطَى الحَجَّامَ أجْرَهُ، ولَوْ كان حَرامًا لَمْ يُعْطِهِ». رواه البخاري ومُسْلِمٌ، وحَمَلُوا هذه الأحاديثَ التي في النهيِ

(١) رواه البخاري (٢١٠٢).

(٢) صحيح مسلم (١٥٦٨).

(٣) فتح الباري (٤/ ٤٥٩).

على التّنزيهِ، والارتِفاعِ عن دَنِيءِ الأكْسابِ، والحَثِّ على مَكارِمِ الأخْلاقِ، ومَعالي الأُمُورِ، ولَوْ كان حَرامًا لَمْ يُفَرَّقْ فيه بينَ الحُرِّ والعبدِ؛ فإنَّهُ لا يَجُوزُ لِلرَّجُلِ أن يُطعِمَ عَبدَه ما لا يَحِلُّ»[1].

«**فَوَضَعُوا عنه من خَراجِهِ**» أي: خَفَّفُوا ضَريبَتَه، يعني: خراجَه الذي عَيَّنُوه عليه[2].

وقال: «إنَّ أفْضَلَ ما تَداوَيتُم بِهِ الحِجامَةُ»، أوْ: «إنَّ من أمْثَلِ دَوائِكُمُ الحِجامَةَ»:

أي: من أفْضَلِ ما تَتَداوَوْنَ بِهِ الحِجامَةُ.

وقدْ جاءَتْ عِدَّةُ أحاديثَ تُبَيِّنُ أنَّ الحِجامَةَ من أفضَلِ أنواعِ العِلاجِ، منْها:

عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عنِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الشِّفاءُ في ثَلاثَةٍ: في شَرْطَةِ مِحْجَمٍ، أو شَرْبَةِ عَسَلٍ، أو كَيَّةٍ بنارٍ، وأنا أنْهَى أُمَّتي عنِ الكَيِّ**»[3].

وعن جابِرِ بنِ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: سَمِعْتُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «**إنْ كان في شيءٍ من أدْوِيَتِكُم خَيرٌ، فَفي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ، أو شَرْبَةِ عَسَلٍ، أو لَذْعَةٍ بنارٍ تُوافِقُ الدَّاءَ، وما أُحِبُّ أن أكْتَوِيَ**»[4].

عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احْتَجَمَ، وأمَرَني فأعْطَيتُ الحَجَّامَ أجْرَهُ»[5].

وفي الحديثِ دَليلٌ على جَوازِ إعطاءِ الحَجَّامِ الأُجرَةَ على الحِجامَةِ، وقَدْ سبَقَ الكلامُ عن ذلك.

عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «إنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احْتَجَمَ في الأخْدَعَينِ، وبينَ الكَتِفَينِ، وأعْطَى الحَجَّامَ أجْرَهُ، ولَوْ كان حَرامًا لَم يُعْطِهِ»[6].

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٠/ ٢٣٣).

(٢) عمدة القاري (٢١/ ٢٤١).

(٣) رواه البخاري (٥٦٨١).

(٤) رواه البخاري (٥٦٨٣)، ومُسْلِم (٢٢٠٥).

(٥) رواه ابن ماجه (٢١٦٣)، وصحَّحه الألباني.

(٦) رواه أحمدُ (٢٩٠٤)، وأبو يَعلى (٢٣٦٠)، وصححه محققو المسند، ورواه البخاري (٢١٠٣)، ولم يذكر: «على الأخدَعَين، وبَين الكتِفَين»، وروى مسلم نحوه (١٢٠٢).

«احْتَجَمَ في الأَخْدَعَينِ، وبينَ الكَتِفَينِ»:

والأَخْدَعانِ: عِرْقانِ في جانِبَيِ العُنُقِ[١].

«وَأَعْطَى الحَجَّامَ أَجْرَهُ، ولَوْ كان حَرامًا لَمْ يُعْطِهِ»:

هذا نَـصٌّ في إباحَةِ أُجْرَةِ الحَجَّامِ، وهو منَ الحُجَجِ التي اسـتَدَلَّ بها جُمهُورُ العُلماءِ على جوازِ أُجْرَةِ الحَجَّامِ، وأنَّها حلالٌ، وقالوا: هو كَسْـبٌ فيه دناءَةٌ، وليـس بمُحَرَّمٍ، فحَمَلُوا الزَّجْرَ على التَّنزيهِ. وقدَ تَقدّمَ ذلك.

عـن أنَـسِ بـنِ مالِـكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قـال: «كانَ رسـولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْتَجِـمُ في الأَخْدَعَـينِ والكاهِـلِ، وكان يَحْتَجِـمُ لِسَـبْعَ عَشْـرَةَ، وتِسْـعَ عَشْـرَةَ، وإِحْـدَى وعِشْـرينَ»[٢].

«الكاهِلُ»: ما بينَ الكَتِفَينِ[٣].

«وكان يَحتَجِمُ لِسَبْعَ عَشرَةَ...»:

في هذا الحديثِ تَحديدُ أفضَلِ أيَّامِ الحِجامَةِ.

وقدْ وردَ في تَوْقيتِ الحِجامَةِ أحاديثُ كثـيرَةٌ عنِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من قولِهِ ومن فِعْلِهِ، وهيَ تَنْقَسِمُ إلى قِسْمَينِ:

القِسْمُ الأَوَّلُ: أحاديثُ تَنُصُّ على أيَّامِ الحِجامَةِ المُفَضَّلَةِ، وأنَّها أيَّامُ السَّابعَ عَشَرَ، والتَّاسِعَ عَشَرَ، والحادي والعِشْرينَ، منَ الشَّهْرِ القَمَريِّ، وأيَّامُ الاِثْنَينِ، والثُّلاثاءِ، والخَميسِ من أيَّامِ الأُسْبُوعِ.

القِسْـمُ الثَّاني: أحاديثُ تَنْهَى عنِ الحِجامَةِ في أيَّامٍ مُعَيَّنَةٍ من أيَّامِ الأُسْـبُوعِ، وهيَ: أيَّامُ السَّبْتِ، والأَحَدِ، والثُّلاثاءِ، والأَرْبَعاءِ، والجُمُعَةِ.

---

(١) النهاية (٢/ ١٤).

(٢) رواه الترمذي (٢٠٥١)، وحسّنه، وصحّحه الألباني.

(٣) تهذيب اللغة (٩/ ١٠٤).

وقَدْ نَصَّ أكْثَرُ الأئِمَّةِ على ضَعْفِ أحاديثِ هَذَينِ القِسْمَينِ كُلِّها:

فَسُئِلَ الإمامُ مالِكٌ عنِ الحِجامَةِ يومَ السَّبْتِ ويومَ الأرْبَعاءِ، فقال: «لا بَأْسَ بذلك، وليس يومٌ إلا وقَدِ احْتَجَمْتُ فيهِ، ولا أكْرَهُ شيئًا من هذا»[١].

وقال أبو جَعفرٍ العُقيليُّ رَحِمَهُٱللَّهُ: «لَيسَ ثابِتٌ في التَّوْقيتِ في الحِجامَةِ يومًا بعَينِهِ عنِ النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وفيها أحاديثُ أسانيدُها كُلُّها لَيِّنَةٌ»[٢].

وقال البَرْذَعيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ: «شَهِدْتُّ أبا زَرْعَةَ لا يُثْبِتُ في كَراهَةِ الحِجامَةِ في يومٍ بعَينِهِ ولا في اسْتِحْبابِهِ في يومٍ بعَينِهِ حَديثًا»[٣].

وقال الحافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُٱللَّهُ: «هذه الأحاديثُ لَم يَصِحَّ منها شيءٌ»[٤].

ولَكِنِ اسْتَحَبَّ كثيرٌ من أهلِ العِلْمِ عَمَلَ الحِجامَةِ في أيَّامِ السَّابعِ عَشَرَ، والتَّاسِعِ عَشَرَ، والحادي والعِشْرينَ؛ لوُرُودِ ذلك عنِ الصَّحابَةِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

قال أبو زُرعَة رَحِمَهُٱللَّهُ: «أجْودُ شيءٍ فيه حَديثُ أنسٍ: «كانَ أصحابُ رسولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَحتَجِمُونَ لِسبْعَ عَشرَة، ولِتِسعَ عَشرةَ، وإحْدَى وعِشرينَ»[٥].

وقال ابنُ القيم رَحِمَهُٱللَّهُ -بعدَ أن أوْرَدَ أحاديثَ الحِجامَةِ في السَّابعَ عَشَرَ، والتَّاسِعَ عَشَرَ، والحادي والعِشْرينَ-: «وَهذه الأحاديثُ مُوافِقَةٌ لِما أجْمَعَ عليه الأطِبَّاءُ: أنَّ الحِجامَةَ في النِّصْفِ الثَّاني وما يَليهِ منَ الرُّبُعِ الثَّالِثِ من أرْباعِهِ، أنْفَعُ من أوَّلِهِ وآخِرِهِ، وإذا اسْتُعْمِلَتْ عند الحاجَةِ إلَيها نَفَعَتْ أيَّ وقْتٍ كانَ، من أوَّلِ الشَّهْرِ وآخِرِهِ.

قال الخَلَّالُ: أخْبَرَني عِصْمَةُ بنُ عِصامٍ، قال: حَدَّثَنا حَنْبَلُ، قال: «كانَ أبو عبدِ اللهِ أحْمَدُ ابنُ حَنْبَلٍ، يَحْتَجِمُ أيَّ وقْتٍ هاجَ بهِ الدَّمُ، وأيَّ ساعَةٍ كانَتْ»[٦].

---

(١) المنتقى شرح الموطأ (٧/ ٢٩٥) نقله عن «العُتْبيَّة».
(٢) الضعفاء (٣/ ٤٥٤).
(٣) سُؤالاتُ البرَذعيّ (ص٤٧٤).
(٤) فَتحُ الباري (١٠/ ١٥٠).
(٥) سُؤالاتُ البرَذعيّ (ص٤٧٤).
(٦) زادُ المَعادِ (٤/ ٥٤).

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احْتَجَمَ وهو مُحْرِمٌ، بمَلَلٍ، على ظَهْرِ القَدَمِ»[١].

«**احْتَجَمَ وهو مُحرِمٌ**»: فَيَجُوزُ الحِجامَةُ لِلْمُحْرِمِ.

وعن ابنِ بُحَينَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «احْتَجَمَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو مُحْرِمٌ بلَحْيِ جَمَلٍ[٢]، في وسَطِ رَأْسِهِ»[٣].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**في هذا الحديثِ**: دَليلٌ لِجَوازِ الحِجامَةِ لِلْمُحْرِمِ، وقَدْ أجْمَعَ العُلَماءُ على جَوازِها له في الرَّأْسِ وغَيرِهِ، إذا كان له عُذْرٌ في ذلك، وإنْ قَطَعَ الشَّعْرَ حينَئِذٍ، لكن عليه الفِدْيَةُ لِقَطْعِ الشَّعْرِ، فإنْ لَمْ يَقْطَعْ فلا فِدْيَةَ عليه»[٤].

«**بمَلَلٍ**»: مَوضِعٌ بينَ مكَّةَ والمدينةِ[٥].

«**على ظَهْرِ القَدَمِ**»: هذه أحَدُ مَواضِعِ الجَسَدِ التي احْتَجَمَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها، وقدْ ثَبَتَتِ الحِجامَةُ: في الرَّأْسِ، والأخْدَعَينِ، والكاهِلِ، والوَرِكِ، وظَهْرِ القَدَمِ.

---

(١) رواه أبو داوُدَ (١٨٣٧)، وصَحَّحَهُ الألْبانيُّ.

(٢) «لَحْيِ جَمَلٍ»: مكان بين مكة والمدينة، وقيل: عقبة، وقيل: ماءٌ. لسان العرب (١٥/ ٢٤٣).

(٣) رواه البخاري (١٨٣٦)، ومسلم (١٢٠٣).

(٤) شرح النووي على مسلم (٨/ ١٢٣).

(٥) النهاية (٤/ ٣٦٢).

بابُ
ما جاءَ في
أسماءِ رَسولِ اللّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال أبو العبَّاسِ القسْطلانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**أسَماء**»: جَمعُ اسمٍ، وهو اللّفظُ الموْضوعُ على الذَّاتِ؛ لِتعريفِها، أو تخصيصِها من غيرِها، كلَفظِ «زَيد».

و«**المُسمَّى**» هُو: الذَّاتُ المقصودُ تمييزُها بالاسمِ، كَشخصِ زَيد.

و«**المُسمِّي**» هُو: الواضعُ لِذلك اللّفظ.

و«**التَّسميةُ**» هي: اخْتصاصُ ذلك اللَّفظِ بتِلكَ الذَّاتِ»[1].

قال ابنُ القيم عن أسمائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«وَكُلُّها نُعُوتٌ، لَيسَتْ أعْلامًا مَحْضَةً لِمُجَرّدِ التَّعْريفِ، بل أسْماءٌ مُشْتَقّةٌ من صِفاتٍ قائِمَةٍ بِهِ، تُوجِبُ له المَدْحَ والكَمالَ»[2].

عن محمدِ بنِ جُبَيرِ بنِ مُطْعِمٍ، عن أبيهِ، قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ لي أسْماءً: أنا محمدٌ، وأنا أحْمَدُ، وأنا الماحي، الذي يَمْحُو اللهُ بيَ الكُفْرَ،

---

(١) إرشاد الساري (٦/ ٢٠).

(٢) زاد المعاد (١/ ٨٤).

وأنا الحاشِرُ، الذي يُحْشَرُ النَّاسُ على قَدَمي، وأنا العاقِبُ، الذي ليس بعدَهُ نَبيٌّ»[(١)].

«**إنَّ لي أسماءً**» وفي رِوايةٍ: «لي خَمْسَةُ أسماءٍ»[(٢)].

وعن نافِعِ بنِ جُبَيرٍ، أنَّهُ دَخَلَ على عبدِ المَلِكِ بنِ مَرْوانَ، فقال: أتُحْصي أسْماءَ رسولِ اللهِ ﷺ، التي كان جُبَيرُ بنُ مُطْعِمٍ يَعُدُّها؟ قال: «نَعَم، هيَ سِتٌّ: محمدٌ، وأحْمَدُ، وخاتَمٌ، وحاشِرٌ، وعاقِبٌ، وماحٍ»[(٣)].

وعن أبي مُوسَى الأشْعَريِّ، قال: كان رسولُ اللهِ ﷺ يُسَمِّي لَنا نَفْسَهُ أسْماءً، فقال: «**أنا محمدٌ، وأحْمَدُ، والمُقَفِّي، والحاشِرُ، ونَبيُّ التَّوْبَةِ، ونَبيُّ الرَّحْمَةِ**»[(٤)].

وقال الحافِظُ رَحِمَهُ اللَّهُ **في قولِهِ**: «**لي خَمْسَةُ أسماءٍ**»:

«**والَّذي يَظْهَرُ**: أنَّهُ أرادَ أنَّ لي خَمْسَةَ أسْماءٍ أخْتَصُّ بها، لَمْ يُسَمَّ بها أحَدٌ قَبْلي، أو مُعَظَّمَةٌ، أو مَشْهُورَةٌ في الأُمَمِ الماضيَةِ، لا أنَّهُ أرادَ الحَصْرَ فيها»[(٥)].

وقال ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وَأسْماؤُهُ** ﷺ **نَوْعانِ**:

أحَدُهُما: خاصٌّ، لا يُشارِكُهُ فيه غَيرُهُ منَ الرُّسُلِ، كَمحمدٍ، وأحْمَدَ، والعاقِبِ، والحاشِرِ، والمُقَفِّي، ونَبيِّ المَلْحَمَةِ.

والثَّاني: ما يُشارِكُهُ في مَعْناهُ غَيرُهُ منَ الرُّسُلِ، ولكن له منه كَمالُهُ، فهو مُخْتَصٌّ بكَمالِهِ دُونَ أصْلِهِ، كَرسولِ اللهِ، ونَبيِّهِ، وعبدِهِ، والشَّاهِدِ، والمُبَشِّرِ، والنَّذيرِ، ونَبيِّ الرَّحْمَةِ، ونَبيِّ التَّوْبَةِ.

وأمَّا إنْ جُعِلَ له من كُلِّ وصْفٍ من أوْصافِهِ اسْمٌ، تَجاوَزَتْ أسْماؤُهُ المائَتَينِ، كالصَّادِقِ،

---

(١) رواه البخاري (٤٨٩٦)، ومسلم (٢٣٥٤).

(٢) رواه البخاري (٣٥٣٢).

(٣) رواه الحاكمُ (٧٧١٨)، وقال: «هذا حَديثٌ صَحيحٌ على شرط الشيخين، ولم يخرّجاه»، ووافقَهُ الذّهبيُّ.

(٤) رواه مسلم (٢٣٥٥).

(٥) فتح الباري (٦/ ٥٥٦).

والمَصْـدُوقِ، والرَّءُوفِ، والرَّحيمِ، إلى أمْثالِ ذلك، وفي هذا قال مَنْ قال منَ النَّاسِ: «إنَّ للهِ ألْفَ اسْمٍ، ولِلنَّبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ألْفَ اسْمٍ»، ومَقْصُودُهُ: الأوْصافُ»[1].

وكَثْرَةُ الأسماءِ تدُلُّ على شَرَفِ المُسَمَّى، وعُلُوِّ مكانَتِهِ، ومن عادَةِ العَرَبِ إطلاقُ الأسماءِ الكثيرَةِ على كُلِّ مَنْ كان ذا شَـأْنٍ عظيمٍ، ومنزِلَةٍ رفيعَةٍ[2]، واختيارُ الأسماءِ منَ الأمُورِ التي اهتَمَّ بها الإسلامُ ونَدَبَ إلَيها.

معاني أسماءِ النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ:

قوله: «أنا محمدٌ»:

«اسْـمُ مَفْعُولٍ منَ التَّحْميدِ مُبالَغَةً، نُقِلَ منَ الوَصْفيَّةِ إلى الاِسْـميَّةِ، يُسَـمَّى بهِ لِكَثْرَةِ خِصالِـهِ المَحْمُودَةِ، أو لأنَّـهُ حُمِدَ مَرَّةً بعدَ مَرَّةٍ، أو لأنَّ اللهَ تعالى حَمِـدَهُ حَمْدًا كثيرًا بالِغًا غايَةَ الكَمالِ، وكَذا المَلائِكَةُ والأنْبياءُ والأوْلياءُ، أو تَفاؤُلًا؛ لأنَّهُ يَكْثُرُ حَمْدُهُ كما وقَعَ، أو لأنَّهُ يَحْمَدُهُ الأوَّلُونَ والآخِرُونَ، وهُم تَحْتَ لِواءِ حَمْدِهِ، فألْهَمَ اللهُ أهلَهُ أن يُسَمُّوهُ بهذا الاِسْمِ؛ لِما عَلِمَ من حَميدِ صِفاتِهِ»[3].

«وَأنا أحْمَدُ»:

«أي: أحْمَـدُ الحامِدينَ، أو أحْمَدُ المَحْمُودينَ، فهو «أفْعَلُ» بمعنى: الفاعِلِ، كـ«أعْلَمُ»، أو بمعنى المَفْعُولِ، كـ«أشْهَرُ»، والمعنى الأوَّلُ في أفْعَلِ التَّفْضيلِ أكْثَرُهُ»[4].

والفَرْقُ بينَ لَفْظِ: «أحمَدَ» و«محمَّدٍ»، من وجْهَينِ:

أحدُهُما: أنَّ محمَّدًا هو المَحمُودُ حَمْدًا بَعدَ حَمْدٍ، فهو دالٌّ على كَثرَةِ حَمْدِ الحامِدينَ لَه، وذلك

---

(١) زاد المعاد (١/ ٨٦).

(٢) قال الصفدي: «الذي وقفت عليه في مجموع للأسد: خمسمائة اسم، ولولده الشبل: ثلاثمائة اسم، الجملة: ثمانمائة اسم». أعيان العصر (٥/ ١٧)، وقال الفيروزآبادي: «السَّيفُ مَعْرُوفٌ، وأسْماؤُهُ تنيفُ على ألْفٍ، وذَكَرْتُها في الرَّوْضِ المَسْلُوفِ فيما له اسْمانِ إلى الأُلُوفِ». القاموس المحيط (ص٨٢٢).

(٣) جمع الوسائل (٢/ ١٨١).

(٤) جمع الوسائل (٢/ ١٨١)، وينظر: الفتح (٦/ ٥٥٥)، زاد المعاد (١/ ٨٨).

يَســتَلْزِمُ كَثْرَةَ مُوجباتِ الحَمْدِ فيهِ، وأحمَدُ أفعَلُ تَفضيلٍ منَ الحَمْدِ، يدُلُّ على أنَّ الحَمْدَ الذي يَســتَحِقُّهُ أفضَلُ مِمَّا يَســتَحِقُّه غيرُهُ، فمحمدٌ زيادَةُ حَمْدٍ في الكَمِّيَّةِ، وأحمَدُ زيادَةٌ في الكَيفيَّةِ، فيُحمَدُ أكثَرَ حَمْدٍ وأفضَلَ حَمْدٍ حَمِدَهُ البَشَرُ.

والوَجهُ الثــاني: أنَّ محمدًا هو المَحْمُودُ حَمْدًا مُتكرِّرًا، وأحمَدُ هــو الذي حَمْدُهُ لرَبِّهِ أفضَلُ من حَمْدِ الحامِدينَ غَيرِه، فَدلَّ أحَدُ الاســمَينِ -وهو محمدٌ- على كَونِهِ مَحْمُودًا، ودلَّ الاِسْمُ الثَّاني- وهو أحْمَدُ- على كَوْنِهِ أحْمَدَ الحامِدينَ لِربِّهِ[1].

«وأنا الماحي الذي يَمْحُو اللهُ بيَ الكُفْرَ»:

فـ«**الماحــي**»: هو الذي مَحا اللهُ بِهِ الكُفرَ، ولَمْ يُمْحَ الكُفْــرُ بأحَدٍ منَ الخَلْقِ ما مُحِيَ بالنبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ فإنَّــه بُعِثَ وأهلُ الأرضِ كُلُّهُم كفَّــارٌ، إلا بقايا من أهلِ الكِتابِ، وهُم ما بينَ عُبَّــادِ أوثانٍ، ويَهُودٍ مَغضُوبٍ عليهم، ونصارَى ضالِّينَ، وصابِئَةٍ دَهْرِيَّةٍ لا يَعرِفُونَ ربًّا ولا معادًا، وبينَ عُبَّادِ الكواكِبِ، وعبَّادِ النَّارِ، وفلاسِــفَةٍ لا يعرِفونَ شرائِعَ الأنبياءِ ولا يُقِرُّون بها، وقد نظَرَ اللهُ ســبحانه حينَئِذٍ إلى أهلِ الأرضِ فمَقَتَهُم عَرَبَهُم وعجَمَهُم، إلا بقايا على آثارٍ من دينٍ صحيحٍ، فأغاثَ اللهُ بِهِ البِلادَ والعِبادَ، وكشَفَ بِهِ تِلكَ الظُّلَمَ، وأحيا بِهِ الخَليقَةَ بعدَ المَوتِ، فهَدَى بــهِ منَ الضَّلالَةِ، وعَلَّمَ بِهِ منَ الجهالَةِ، وفتَحَ بِهِ أعيُنًا عُمْيًا، وآذانًا صُمًّا، وقُلُوبًا غُلفًا.

ومحا اللهُ سبحانه برسُولِهِ الكُفرَ، حتى ظهَرَ دينُ اللهِ على كُلِّ دينٍ، وبَلَغَ دينُهُ ما بَلَغَ اللَّيلُ والنَّهارُ، وسارَتْ دعوَتُهُ مَسيرَ الشَّمسِ في الأقطارِ[2].

قولُهُ: **«وأنا الحاشِرُ، الذي يُحْشَرُ النَّاسُ على قدَمي»**:

«أي: على أثَري، أي: إنَّهُ يُحْشَرُ قَبْلَ النَّــاسِ، وهو مُوافِقٌ لِقولِهِ -في الرِّوايَةِ الأُخْرَى-: **«يُحْشَرُ النَّاسُ على عَقِبي»**[3].

---

(١) جلاءُ الأفهامِ (ص١٨٨).

(٢) زاد المعاد (١/ ٩١-٩٢)، جلاءُ الأفهامِ (ص١٧٩).

(٣) رواه مسلم (٢٣٥٤).

ويُحْتَمَلُ أن يكونَ المُرادُ بالقَدَمِ الزَّمانَ، أي: وقْتَ قيامي على قَدَمي، بظُهُورِ عَلاماتِ الحَشْرِ؛ إشارَةً إلى أنَّهُ ليس بعدَهُ نَبيٌّ ولا شَريعَةٌ.

واسْتُشْكِلَ التَّفْسيرُ بأنَّهُ يَقْضي بأنَّهُ مَحْشُورٌ، فكَيفَ يُفَسَّرُ بِهِ «حاشِرٌ»، وهو اسْمُ فاعِلٍ؟

وأُجيبَ: بأنَّ إسْنادَ الفِعْلِ إلى الفاعِلِ إضافَةٌ، والإضافَةُ تَصِحُّ بأدْنَى مُلابَسَةٍ، فلَمَّا كان لا أُمَّةَ بعدَ أُمَّتِهِ؛ لأنَّهُ لا نَبيَّ بعدَهُ، نُسِبَ الحَشْرُ إليه؛ لأنَّهُ يَقَعُ عَقِبَهُ ويُحْتَمَلُ أن يكونَ مَعْناهُ: أنَّهُ أوَّلُ مَنْ يُحْشَرُ.

وقيلَ: معنى القَدَمِ: السَّبَبُ، وقيلَ: المُرادُ: على مُشاهَدَتي قائِمًا للهِ شاهِدًا على الأُمَمِ، ووَقَعَ في روايةِ نافِعِ بنِ جُبَيرٍ: «وَأنا حاشِرٌ، بُعِثْتُ مع السَّاعَةِ»[1]، وهو يُرَجِّحُ الأوَّلَ»[2].

«وأنا العاقِبُ، الذي ليس بَعدَهُ نَبيٌّ»:

فهُوَ آخرُ الأنْبياءِ، والعاقِب والعَقُوب: الذي يَخْلُف مَنْ كان قبلَه في الخَيرِ[3].

ووَقعَ عند التِّرمِذيِّ: «**وَأنا العاقِبُ، الذي ليس بعدي نَبيٌّ**»[4].

فَقيلَ: التَّفسيرُ مَرفوعٌ، وقيلَ: مُدرَجٌ، قال الحافِظُ: «وَهُوَ مُحْتَمِلٌ لِلرَّفْعِ والوَقْفِ»[5].

عن حُذَيفَةَ، قال: لَقيتُ النبيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في بعضِ طُرُقِ المدينَةِ، فقال: «أنا محمدٌ، وأنا أحْمَدُ، وأنا نَبيُّ الرَّحْمَةِ، ونَبيُّ التَّوْبَةِ، وأنا المُقَفِّي، وأنا الحاشِرُ، ونَبيُّ المَلاحِمِ»[6].

---

(١) وهو حديثُ نافِعِ بنِ جُبَيرٍ، أنَّهُ دَخَلَ على عبدِ المَلِكِ بنِ مَرْوانَ، فقال: أَتُحْصي أسْماءَ رسولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ التي كان جُبَيرُ بنُ مُطْعِمٍ يَعُدُّها؟ قال: «نَعَم، هيَ سِتٌّ: محمدٌ، وأحْمَدُ، وخاتَمٌ، وحاشِرٌ، وعاقِبٌ، وماحٍ، فأمَّا حاشِرٌ: فَيُبْعَثُ مع السَّاعَةِ ﴿نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾، وأمَّا عاقِبٌ: فإنَّهُ عقب الأنْبياءِ، وأمَّا ماحٍ: فإنَّ اللهَ ماحٍ بِهِ سَيِّئاتِ مَنِ اتَّبَعَهُ»، وتقدّم تخريجُه.

(٢) فتح الباري (٦/ ٥٥٧).

(٣) النهاية (٣/ ٢٦٨).

(٤) رواه الترمذيّ (٢٨٤٠)، وصحّحهُ.

(٥) فتح الباري (٦/ ٥٥٧).

(٦) رواه أحمدُ (٢٣٤٤٥)، وصححه محققو المسند لغيره.

«**نبيُّ الرَّحمَةِ**»: فهو الذي أرْسَلَهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

قال ابنُ القيم: «وَأصَحُ القولَينِ في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾: أنّه على عُمُومِهِ، وفيه على هذا التَّقْديرِ وجْهان:

أحَدُهُما: أنَّ عُمُومَ العالَمِينَ حَصَلَ لهم النَّفْعُ بِرسالَتِهِ:

أمَّا أتباعُهُ: فنالُوا بِهِ كرامَةَ الدُّنيا والآخِرَةِ.

وأمَّا أعداؤُهُ:

فالمُحارِبُونَ له: عَجَّلَ قَتْلَهُم، ومَوْتُهُم خَيرٌ لهم من حياتِهِم؛ لأنَّ حياتَهُم زيادَةٌ لهم في تغليظِ العَذابِ عليهم في الدَّارِ الآخِرَةِ.

وأمَّا المُعاهدُونَ له: فَعاشُوا في الدُّنيا تَحْتَ ظِلِّهِ وعَهدِهِ وذِمَّتِه، وهُم أقَلُّ شَرًّا بذلك العَهدِ منَ المُحارِبينَ لَه.

وأمَّا المُنافِقُونَ: فحَصَلَ لهم بإظْهارِ الإيمانِ بِهِ حَقْنُ دمائِهِم وأموالِهِم وأهلِهِم، واحترامُها، وجَريانُ أحكامِ المُسلِمينَ عليهم في التَّوارُثِ وغيرِهِ.

وأمَّا الأُمَمُ النَّائيةُ عنه: فإنَّ اللهَ سبحانه رفَعَ برسالَتِه العَذابَ العامَّ عن أهلِ الأرْضِ.

فأصابَ كُلَّ العالَمِينَ النَّفْعُ برسالَتِه.

الوَجهُ الثاني: أنَّهُ رحمَةٌ لِكُلِّ أحَدٍ، لَكِنِ المُؤمنُونَ قَبِلُوا هذه الرَّحمَةَ، فانتَفَعُوا بها دُنيا وأُخْرَى، والكُفَّارُ رَدُّوها، فلَم يَخرُجْ بذلك عن أن يكونَ رَحمَةً لهم، لكن لَم يَقبَلُوها، كما يُقال: هذا دَواءٌ لهذا المَرَضِ، فإذا لَم يَستَعْمِلْهُ المَريضُ لَم يَخرُجْ عن أن يكونَ دَواءً لِذلك المَرَضِ»[1].

---

(١) جلاءُ الأفْهامِ (ص ١٨١-١٨٢).

«**وَنَبِيُّ التَّوبَةِ**»: فهو الذي فَتَحَ اللهُ بِهِ بابَ التَّوبَةِ على أهلِ الأرْضِ، فَتابَ اللهُ عليهم تَوبَةً لَمْ يَحصُلْ مِثْلُها لأهلِ الأرْضِ قَبْلَهُ، وكان صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أكْثَرَ النَّاسِ اسـتِغْفارًا وتَوْبَةً؛ فعنِ ابن عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: قال رسـولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**يا أيُّها النَّـاسُ، تُوبُوا إلى اللهِ، فإنِّي أتُوبُ في اليومِ إليه مائَةَ مَرَّةٍ**»(١).

وكذلك تَوبَةُ أُمَّتِه أكمَلُ من توبَةِ سـائِرِ الأُمَمِ، وأسْرَعُ قَبُولًا، وأسـهَلُ تَناوُلًا، وكانَتْ توبَةُ مَنْ قَبلَهُم من أصعَبِ الأشْـياءِ، حتى كان من توبَةِ بَني إسرائيلَ من عِبادَةِ العِجْلِ قَتْلُ أنفُسِهِم، وأمَّا هذه الأُمَّةُ: فلِكَرامِتِها على اللهِ تعالى جعَلَ توبَتَها النَّدَمَ والإقلاعَ.

«**والمُقَفِّي**»:

هُوَ الذي قَفَّى على آثارِ مَنْ تَقَدَّمَهُ، فَقَفَّى اللهُ بِهِ على آثارِ مَنْ سَـبَقَهُ منَ الرُّسُـلِ، وهذه اللَّفْظَةُ مُشْتَقَّةٌ منَ القَفْوِ، يُقال: قَفاهُ، يَقْفُوهُ: إذا تَأخَّرَ عنه، ومنْهُ قافيَةُ الرَّأْسِ، وقافيَةُ البَيتِ، فالمُقَفِّي: الذي قَفَّى مَنْ قَبْلَهُ منَ الرُّسُلِ، فَكانَ خاتَمَهُم وآخِرَهُمْ(٢).

«**وَنَبِيُّ المَلاحِمِ**»؛ لأنَّهُ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بُعِثَ بالقِتالِ(٣).

وقال القاري: «**المَلاحِمُ**: جَمْعُ المَلْحَمَةِ، وهيَ الحَرْبُ ذاتُ القِتالِ الشَّـديدِ، وسُمِّيَ بها؛ لِاشْـتِباكِ النَّاسِ فيها كالسَّـدَى واللُّحْمَةِ في الثَّوْبِ، وقيلَ: لِكَثْرَةِ لُحُـومِ القَتْلى فيها، وفيهِ إشارَةٌ إلى كَثْرَةِ الجِهادِ مع الكُفَّارِ في أيَّامِ دَوْلَتِهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وكَذا بعدَهُ مُسْتَمِرٌّ في أُمَّتِهِ، إلى أن يُقاتِلَ آخِرُهُمُ الدَّجَّالَ»(٤).

وفي حَديثِ أبي مُوسَى، قال: سَمَّى لَنا رسولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نَفْسَهُ أسْماءً، منها ما حَفِظْنا، فقال: «**أنا محمدٌ، وأحْمَدُ، والمُقَفِّي، والحاشِرُ، ونَبيُّ الرَّحْمَةِ، ونَبيُّ التَّوْبَةِ ونَبيُّ المَلْحَمَةِ**»(٥).

---

(١) رواه مسلم (٢٧٠٢).

(٢) زاد المعاد (١/ ٩٢).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٥/ ١٠٦).

(٤) جمع الوسائل (٢/ ١٨٤).

(٥) رواه مسلم (٢٣٥٥)، وأحمد (١٩٥٢٥)، واللفظ له.

قال ابنُ القيم: «**وَأَمَّا نَبِيُّ المَلْحَمَةِ**: فهو الذي بُعِثَ بجِهادِ أعْداءِ اللهِ، فَلَم يُجاهِدْ نَبيٌّ وأُمَّتُهُ قَطُّ ما جاهَدَ رسولُ اللهِ ﷺ وأُمَّتُهُ، والمَلاحِمُ الكِبارُ التي وقَعَتْ وتَقَعُ بينَ أُمَّتِهِ وبينَ الكُفَّارِ لَمْ يُعْهَدْ مِثْلُها قَبْلَهُ؛ فإنَّ أُمَّتَهُ يَقْتُلُونَ الكُفَّارَ في أقْطارِ الأرْضِ، على تَعاقُبِ الأعْصارِ، وقَدْ أوْقَعُوا بهِم منَ المَلاحِمِ ما لَمْ تَفْعَلْهُ أُمَّةٌ سِواهُمْ»[1].

فَهوُ ﷺ رَحمةٌ لِأهلِ الإيمانِ، وحَرْبٌ على أهلِ الكُفرِ والنِّفاقِ.

هَل للنَّبيِّ ﷺ أسْماءٌ أُخرَى؟

صَنَّفَ العُلماءُ في جَمْعِ أسْماءِ النّبيِّ ﷺ مُصنّفاتٍ كثيرةً، تَزيدُ على الأرْبَعَةَ عَشرَ مُصَنَّفًا، وقَدِ اخْتَلفَ العُلماءُ في أسْماء كثيرةٍ: هَلْ تَصحُّ نِسبتُها إلى النّبيِّ ﷺ، أم لا؟

وكان من أهَمّ أسْبابِ الخِلافِ: أنَّ بَعضَهُم عَدّ كُلَّ وصْفٍ وُصِفَ بهِ النّبيُّ ﷺ في القُرآنِ الكَريمِ من أسْمائِهِ، فَعدّ من أسْمائِهِ مَثلًا: الشّاهِد، والمُبشّر، والنّذير، والدّاعي، والسّراج المُنير؛ وذلك لِقولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦].

وقدْ بالَغَ بَعضُ مَنِ اهْتمَّ بذلك، فأوصَلَ أسْماءَ النّبيِّ ﷺ إلى ثَلاثِمائَة اسْمٍ، ومنهُم مَنْ أوْصَلَها إلى ألْفِ اسْمٍ!

والصَّحيحُ: أنَّ الذي له أصْلٌ في النُّصوصِ إمَّا اسمٌ، وهو القَليلُ، أو وصفٌ، وهو أكْثرُ، وما سِوَى ذلك فلا أصْلَ لَهُ، فلا يُطلَقُ على النّبيِّ ﷺ؛ حَذرًا منَ الإفْراطِ، والغُلُوِّ[2].

---

(١) زاد المعاد (١/ ٩٣).

(٢) يُنْظَر: تهذيب الأسْماءِ واللّغاتِ، للنّوويِّ (١/ ٤٩)، تَنْوير الحَوالِك، للسِّيوطيّ (١/ ٧٢٧)، مُعجَم المَناهي اللّفظيّةِ، لبَكْر أبو زَيدٍ (ص/ ٣٦٢-٣٦٣).

بابُ
ما جاءَ في
عَيشِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أي: في كَيفيَّةِ معيشَــتِه حالَ حياتِه، وقد ســبَقَ ذِكْرُ هذا البابِ قَبْلَ هذا، ولَكِنَّ المُصنِّفَ أعادَهُ هنا بزياداتٍ كثيرَةٍ.

عن سِماكِ بنِ حَرْبٍ قال: سَمِعْتُ النُّعْمانَ بنَ بَشيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يقولُ: «أَلَسْتُم في طَعامٍ وشَرابٍ ما شِئْتُمْ؟ لَقَدْ رَأيتُ نَبيَّكُم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما يَجِدُ منَ الدَّقَلِ ما يَمْلَأُ بِهِ بَطْنَهُ»[1].

«**أَلَسْتُم في طَعامٍ وشَرابٍ ما شِــئْتُمْ؟**» أي: أَليسَ لَكُم منَ التَّوسِعَةِ في الطَّعامِ والشَّرابِ مِقْدارُ ما تَشاؤُونَ؟!

زادَ مُسلمٌ في روايةٍ، في آخرِهِ: «**وَما تَرْضَوْنَ دُونَ أَلْوانِ التَّمْرِ والزُّبْدِ!**».

وعندَ البَيهقيِّ في الشُّعبِ: «**وَما تَرْضَوْنَ دُونَ أَلْوانِ التَّمْرِ والزُّبْدِ وأَلْوانِ الثِّيابِ!**»[2].

«**لَقَدْ رَأيتُ نَبيَّكُم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما يَجِدُ منَ الدَّقَلِ ما يَمْلَأُ بِهِ بَطْنَهُ**»:

---

(١) رواه مسلم (٢٩٧٧).

(٢) شعب الإيمان (٩٩٤٤).

لإعراضِهِ عنِ الدُّنيا وزهدِهِ فيها.

وفي رِوايةٍ: عن سِـماكِ بنِ حَرْبٍ، قال: سَمِعْتُ النُّعْمانَ يَخْطُبُ قال: ذَكَرَ عمرُ ما أصابَ النَّاسُ منَ الدُّنْيا، فقال: «لَقَدْ رَأيتُ رسـولَ اللهِ ﷺ يَظَـلُّ اليومَ يَلْتَوي، ما يَجِدُ دَقَلًا يَمْلَأُ بِهِ بَطْنَهُ»[١].

الالتِواءُ والتَّلَوِّي: الاضطِرابُ عند الجُوعِ والضَّربِ[٢].

«**والدَّقَل**»: التَّمرُ الرَّديءُ، ويابِسُـه، وما ليس له اسمٌ خاصٌّ، فتراهُ- ليُبْسِهِ ورداءَتِهِ- لا يَجتَمِعُ، ويَكونُ مَنثُورًا[٣].

وقال ابنُ علَّان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قولُه: «**ما يَجِدُ دَقَلًا يَمْلَأُ بِهِ بَطْنَه**»: جُملةٌ مُسـتأنَفَةٌ اسْتِئنافًا بَيانيًّا؛ بسَبَبِ التِوائِهِ طُولَ يَومِهِ»[٤].

وقال ابن الجَوْزيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَهذه صفةٌ لما كانُوا فيه من ضيقِ العَيش»[٥].

عن عائشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قالتْ: «إنْ كُنَّا آلَ محمدٍ ﷺ نَمْكُثُ شَهْرًا ما نَسْتَوْقِدُ بنارٍ، إنْ هو إلا التَّمْرُ والماءُ»[٦].

«**إنْ كُنَّا**» إنْ: مُخَفَّفةٌ منَ المُثقَّلَةِ، والمعنى: إنَّا كُنَّا.

«**آلَ محمدٍ**»: بالنَّصبِ على الاختِصاصِ، يعني: أنَّ المَعْنيَّ بالحديثِ هُنا: هُم آلُ محمدٍ ﷺ.

«**نَمْكُثُ شَهْرًا ما نَستَوْقِدُ بنارٍ**» أي: ما نُوقِدُ نارًا، والمعنى: أنَّنا لَم نَكُنْ نَخبِزُ ولا نَطْبُخُ في هذه المدَّةِ شيئًا.

«**إنْ هو إلا التَّمْرُ والماءُ**» يعني: أنَّ طعامَنا لَم يَكُنْ إلا التَّمْرُ والماءُ.

---

(١) رواه مسلم (٢٩٧٨).

(٢) حاشية السندي على سنن ابن ماجه (٢/ ٥٣٦).

(٣) النهاية (٢/ ١٢٧).

(٤) دليل الفالحين (٤/ ٤٠٤).

(٥) كشف المشكل (٢/ ٢١٦).

(٦) رواه البخاري (٦٤٥٨)، ومسلم (٢٩٧٢).

وفي روايَةٍ أُخْرَى أنَّ تِلكَ الحالَ كانَتْ رُبَّما اســتَمَرَّتْ بآلِ بَيتِ النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ شَهْرَينِ كامِلَينِ؛ ففي الصَّحيحينِ، عن عُرْوَةَ، عن عائِشَــةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، أنَّها كانَــتْ تَقُولُ: «واللهِ يا ابنَ أُخْتــي، إنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إلى الهِلالِ، ثُمَّ الهِلالِ، ثُمَّ الهِلالِ، ثَلاثَةَ أهِلَّةٍ في شَــهْرَينِ، وما أُوقِدَ في أبْياتِ رسولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نارٌ»(١).

قال: قلت: يا خالَةُ، فَما كان يُعَيِّشُكُمْ؟

قالتْ: «الأسْوَدانِ: التَّمْرُ، والماءُ، إلا أنَّهُ قَدْ كان لِرسولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ جيرانٌ من الأنْصارِ، وكانَتْ لهم مَنائِحُ، فَكانُوا يُرْسِلُونَ إلى رسولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من أَلْبانِها، فَيَسْقِيناهُ»(١).

عن أبي هُريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: خَرَجَ رسولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في ساعَةٍ لا يَخْرُجُ فيها(٢)، ولا يَلْقاهُ فيها أحَدٌ، فأتاهُ أبو بَكْرٍ، فقال: «ما جاءَ بكَ يا أبا بَكْرٍ؟»، قال: خَرَجْتُ أَلْقَى رسولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأَنْظُرُ في وجْهِهِ، والتَّسْليمَ عليه(٣)، فَلَم يَلْبَثْ أن جاءَ عمرُ، فقال: «ما جاءَ بكَ يا عمرُ؟»، قال: الجُوعُ يا رسولَ اللهِ(٤)، قال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «وأنا قَدْ وجَدْتُ بعضَ ذلك»(٥).

فانْطَلَقُوا إلى مَنْزِلِ أبي الهَيثَمِ بنِ التَّيِّهانِ الأنْصاريِّ(٦)، وكان رَجُلا كثيرَ النَّخْلِ والشَّاءِ، ولَم يَكُنْ له خَدَمٌ، فَلَم يَجِدُوهُ، فَقالوا لامْرَأتِهِ: أينَ صاحِبُكِ؟(٧) فَقالت: انْطَلَقَ يَسْتَعْذِبُ لَنا الماءَ(٨)، فَلَم يَلْبَثُوا أن جاءَ أبو الهَيثَمِ

---

(١) رواه البخاري (٢٥٦٧)، ومسلم (٢٩٧٢).

(٢) أي: في وقتٍ، لَمْ يكُنْ من عادَتِهِ أن يَخْرُجَ فيهِ.

(٣) بالنَّصْبِ على أنَّه مَفعُولُ فِعلٍ محذُوفٍ، أي: خَرَجْتُ أرجُو لِقاءَ النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والنَّظَرَ إليه، والتَّسليمَ عليه.

(٤) وفي روايةٍ مُسلِمٍ: أنَّ النبيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال لَهُما: «ما أخرَجَكُما من بُيُوتِكُما هذه السَّاعَة؟»، قالا: الجُوعُ، يا رسولَ اللهِ.

(٥) وعند مُسلِمٍ: «وأنا -والذي نَفسي بيَدِه- لأَخْرَجَني الذي أخرَجَكُما».

(٦) هو مالِكُ بنُ التَّيِّهانِ بنِ مالِكِ بنِ عَتيكِ بنِ عَمْرٍو الأنْصاريُّ الأوْسيُّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، شَهِدَ العَقَبَةَ نَقيبًا، وشَهِدَ بَدْرًا وما بعدَها، ومات سَــنَةَ عِشْرينَ، وقيلَ: إحْدَى وعِشْرينَ، وقيلَ: إنَّهُ شَــهِدَ صِفِّينَ مع عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وقُتِلَ بها. ينظر: الإصابة (٧/ ٣٦٥)، أسد الغابة (٦/ ٣١٧)، البداية والنهاية (١٠/ ١٠٧)

(٧) وعند مُسلِمٍ: فَلَمَّا رَأتْهُ المَرْأةُ قالتْ: مَرْحَبًا وأهلاً فقال لها رسولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أينَ فُلانٌ؟».

(٨) أي: يَبحَثُ عن ماءٍ عَذْبٍ؛ ليأتيَنا بهِ.

بقِرْبَةٍ يَزْعَبُها[١]، فَوَضَعَها، ثُمَّ جاءَ يَلْتَزِمُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويُفَدِّيهِ بأبيهِ وأُمِّهِ، ثُمَّ انْطَلَقَ بهم إلى حَديقَتِهِ، فَبَسَطَ لهم بساطًا، ثُمَّ انْطَلَقَ إلى نَخْلَةٍ فَجاءَ بقِنْوٍ[٢] فَوَضَعَهُ، فقال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أفَلا تَنَقَّيتَ لَنا من رُطَبِهِ؟» فقال: يا رسولَ اللهِ، إنِّي أرَدْتُ أن تَخْتارُوا -أو تَخَيَّرُوا- من رُطَبِهِ وبُسْرِهِ[٣]، فأكَلُوا، وشَرِبُوا من ذلك الماءِ، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هذا -والَّذي نَفْسي بيَدِهِ- من النَّعيمِ الذي تُسْأَلُونَ عنه يومَ القيامَةِ: ظِلٌّ بارِدٌ، ورُطَبٌ طَيِّبٌ، وماءٌ بارِدٌ»[٤].

فانْطَلَقَ أبو الهَيثَمِ ليَصْنَعَ لهم طَعامًا، فقال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تَذْبَحَنَّ ذاتَ دَرٍّ»[٥]، فَذَبَحَ لهم عَناقًا، أو جَدْيًا[٦]، فأتاهُم بها، فأكَلُوا، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ لَكَ خادِمٌ؟»، قال: لا، قال: «فإذا أتانا سَبْيٌ فأْتِنا»، فأُتِيَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برَأْسَينِ، ليس مَعَهُما ثالِثٌ، فأتاهُ أبو الهَيثَمِ، فقال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اخْتَرْ منْهُما»، فقال: يا رسولَ اللهِ، اخْتَرْ لي، فقال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ المُسْتَشارَ مُؤْتَمَنٌ[٧]، خُذْ هذا؛ فإنِّي رَأيتُهُ يُصَلِّي، واسْتَوْصِ بهِ مَعْرُوفًا[٨]».

فانْطَلَقَ أبو الهَيثَمِ إلى امْرَأتِهِ، فأخْبَرَها بقولِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقالتِ

---

(١) أي: يَتدافَعُ بها، وهيَ مُمتلئةٌ.

(٢) القِنْو: العِذْقُ بما فيه منَ الرُّطَب، وجَمْعُهُ: أقْناءٌ، وعند مُسلمٍ: «فَجاءَهُم بعِذْقٍ، فيه بُسْرٌ وتَمْرٌ ورُطَبٌ».

(٣) البُسْرُ: التَمْرُ قبلَ إرطابِه لغَضاضَتِه، وذلك إذا لَوَّنَ ولم يَنْضَج، وإذا نَضِجَ فقد أرْطَبَ.

(٤) وعند مُسلمٍ: فلما أن شَبِعُوا ورَوُوا، قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبِي بَكْرٍ وعمرَ: «والَّذي نَفْسي بيَدِهِ، لَتُسْأَلُنَّ عن هذا النَّعيمِ يومَ القيامَةِ، أخْرَجَكُم من بُيُوتِكُمُ الجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حتى أصابَكُم هذا النَّعيمُ».
قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والذي نَعتَقِدُهُ: أنَّ السُّؤالَ -ها هنا- سُؤالُ تعدادِ النِّعَمِ، وإعلامٍ بالامتِنانِ بها، وإظهارِ الكرامَةِ بإسباغِها، لا سُؤالَ تَوبيخٍ وتقريعٍ ومحاسبَةٍ». شرحُ مسلمٍ (١٣/ ٢١٤).

(٥) أي: لا تَذْبَحنَّ شاةً ذاتَ لَبَنٍ.

(٦) شَكٌّ منَ الرَّاوي، والعَناقُ: الأنثى من أولادِ المَعزِ، والجَدْيُ من أولادِ المَعزِ: ذَكَرُها.

(٧) أي: إنَّ الذي طَلَبَ منه المَشُورَةَ جَعَلَهُ أمينًا؛ فيَلزَمُ رعايَةُ حالِ المُستَشيرِ، ولا يحِلُّ له كَتْمُ أمرٍ فيه صَلاحُهُ؛ فإنْ فَعَل: خَرَجَ عن كونِهِ أمينًا.

(٨) أي: اقبَلْ وصيَّتي في حقِّهِ، وأحْسِنْ مِلْكَتَهُ بالمَعرُوفِ.

امْرَأَتُهُ: ما أنْتَ ببالِغٍ حَقَّ ما قال فيه النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا بأنْ تَعْتِقَهُ[١]، قال: فهو عَتيقٌ.

فَقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ اللهَ لَم يَبْعَثْ نَبيًّا ولا خَليفَةً إلا وله بطانَتانِ: بطانَةٌ تَأْمُرُهُ بالمَعْروفِ وتَنْهاهُ عنِ المُنْكَرِ، وبطانَةٌ لا تَأْلُوهُ خَبالًا، ومَنْ يُوقَ بطانَةَ السُّوءِ فَقَدْ وُقيَ»[٢].

«**إنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْ نبيًّا ولا خَليفَةً**» يعني: ما بَعَثَ اللهُ من نَبيٍّ، ولا استَخْلَفَ من خَليفَةٍ، كما في حديثِ أبي سَعيدٍ عند البخاريِّ: «**ما بَعَثَ اللهُ من نَبيٍّ ولا اسْتَخْلَفَ من خَليفَةٍ إلا كانَتْ له بطانَتانِ: بطانَةٌ تَأْمُرُهُ بالمَعْرُوفِ وتَحُضُّهُ عليه، وبطانَةٌ تَأْمُرُهُ بالشَّرِّ وتَحُضُّهُ عليه، فالمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللهُ تعالى**»[٣].

وعندَ النَّسائيِّ من حديثِ أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**ما من والٍ إلا ولـه بطانَتانِ: بطانَةٌ تَأْمُرُهُ بالمَعْرُوفِ وتَنْهاهُ عنِ المُنْكَرِ، وبطانَةٌ لا تَأْلُوهُ خَبالًا، فَمَنْ وُقيَ شَرَّها فَقَدْ وُقيَ، وهو منَ التي تَغْلِبُ عليه منْهُما**»[٤].

قال الحافِظُ ابنُ حجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذه الرِّوايَةِ: «وهي أعَمُّ»[٥].

فَهذا اللَّفظُ العـامُّ يبيِّنُ مَوقِعَ هذه الجُملَةِ من كلامِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُنا؛ إذ إنَّ كلامَهُ في حقِّ أبي الهَيثَمِ وامرَأتِهِ، التي هيَ بطانَتُهُ هُنا، وليس أبو الهَيثَمِ نبيًّا ولا خليفَةً، وإنَّما هو داخِلٌ في عُمُومِ قولِه: «**ما من والٍ**».

قال المُناويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَمْ يَبْعَثْ نبيًّا ولا استَخْلَفَ خَليفَةً، فَضْلًا عن غَيرِهِما»[٦].

---

(١) تعنـي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنَّه مَهْما أحسَـنَ زَوجُها إلى ذلك الرَّقيقِ، فقَدْ بَقيَ وراءَ إحسـانِهِ إحسـانٌ، ومَهْما قَدَّم إليه من معرُوفٍ، فقَدْ بَقيَ وراءَهُ المَعرُوفُ الأكبَرُ في حقِّ الرَّقيقِ، وهو عِتقُهُ.

(٢) رواه مسلم (٢٠٣٨) بنَحوِه، والترّمذيّ (٢٣٦٩)، بتَمامِهِ، وصَحّحهُ، وصحّحه الألبانيُّ.

(٣) صحيح البخاري (٧١٩٨).

(٤) سنن النَّسائيِّ (٤٢٠١)، وصححه الألباني.

(٥) فتح الباري (١٣/ ١٩٠).

(٦) فيض القدير (٢/ ٢٥١).

«**بِطانَتانِ**» أي: وزيرانِ، ومُشيرانِ، مُشَبَّهانِ بالبِطانَةِ لُمُلازَمَتِهِ، بحَيثُ لا يَنْفَكَّانِ عن صُحْبَتِهِ[١].

وقال الحافِظُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «البِطانَةُ: اسْــمُ جِنسٍ، يَشمَلُ الواحِدَ والجماعَةَ، والمُرادُ: مَنْ يَطَّلِعُ على باطِنِ حالِ الكَبيرِ من أتباعِهِ»[٢].

«**بِطانَةٌ تأمُرُهُ بالمَعرُوفِ**» أي: ما عَرَفَهُ الشَّرعُ، وحَكَمَ بحُسْنِهِ.

«**وتَنْهاهُ عنِ المُنكَرِ**» أي: ما أنْكَرَهُ الشَّرعُ، ونَهَى عن فِعلِهِ.

«**وبِطانَةٌ لا تَألُوهُ خَبالًا**» أي: لا تُقَصِّرُ في إفســادِ أمرِهِ، وهو اقْتِباسٌ من قولِهِ تعالى: ﴿**لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا**﴾ [آل عمران: ١١٨] وفي حَديثِ أبي سَعيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**وبطانَةٌ تأمُرُهُ بالشَّرِّ**».

«**ومَنْ يُوقَ بطانَةَ السُّوءِ**»: بأنْ يَعصِمَهُ اللهُ منْها.

«**فقَدْ وُقِيَ**» الشَّرَّ، وكُفِيَ كُلَّ سُوءٍ.

وفي حديثِ أبي سَعيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**فالمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللهُ تعالى**».

قال الحافِظُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمُرادُ بِهِ: إثْباتُ الأُمُورِ كُلِّها للهِ تعالى، فهو الذي يَعْصِمُ مَنْ شــاءَ منْهُم، فالمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَهُ اللهُ، لا مَنْ عَصَمَتْهُ نَفْسُهُ؛ إذْ لا يُوجَدُ مَنْ تَعْصِمُهُ نَفْسُهُ حَقيقَةً، إلا إنْ كان اللهُ عَصَمَهُ»[٣].

وفي هذا الحديثِ منَ الفَوائِدِ:

* أنَّهُ يَنبَغــي مُراعاةُ عاداتِ النَّــاسِ وأحوالِهم، وتَحَــيُّنُ الأوقاتِ المُناسِــبَةِ لُملاقاتِهم وزيارَتِهم، خاصَّةً فيما يكونُ بينَ المُعَلِّمِ والمُتعَلِّمِ.

* مَشْروعيَّةُ القَسَمِ لتأكيدِ الأمْرِ عند السَّامِعِ، والحَلِف من غَيرِ استِحْلافٍ.

* ما كان عليه النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكِبارُ أصحابِهِ مــنَ التَّقَلُّلِ منَ الدُّنيا، وما ابتُلُوا بِهِ منَ الجُوعِ وضيقِ العَيشِ في أوقاتٍ.

---

(١) مرقاة المفاتيح (٦/ ٢٤٠٥).

(٢) فتح الباري (١١/ ٥٠٢).

(٣) المصدر السابق (١٣/ ١٩٠).

* جوازُ ذِكْرِ الإنسانِ ما يَنالُهُ من ألَمٍ ونحوِهِ، لا على سَبيلِ التَّشكِّي وعدَمِ الرِّضا، بل للتَّسليَةِ والتَّصبيرِ، كفِعْلِه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ها هُنا، ولالتِماسِ دُعاءٍ أو مُساعَدَةٍ على التَّسبُّبِ في إزالَةِ ذلك العارِضِ؛ فهذا كلُّهُ ليس بمَذْمُومٍ، إنَّما يُذَمُّ ما كان تَشَكِّيًا وتسَخُّطًا وتجَزُّعًا.

* جوازُ الإدلالِ على الصَّاحِبِ الذي يُوثَقُ بهِ، واستِتْباعِ جَماعَةٍ إلى بَيتِهِ.

* جوازُ سَماعِ كَلامِ الأجْنَبيَّةِ، ومراجَعَتِها الكَلامَ للحاجَةِ

* جَوازُ إذْنِ المَرأةِ في دُخولِ مَنزِلِ زَوجِها، لِمَنْ عَلِمَتْ عِلْمًا مُحَقَّقًا أنَّه لا يَكْرَهُهُ، بحَيثُ لا يَخْلُو بها الخَلْوَةَ المُحرَّمَةَ.

* طَلَبُ الماءِ العَذْبِ وتخيُّره على غَيرِهِ، والتمتُّعُ بطيِّباتِ ما أحلَّ اللهُ، لا يُنافي حالَ الزُّهدِ.

* خِدمَةُ الإنسانِ لأهلِهِ بنَفْسِهِ لا تُنافي المُرُوءَةَ، بل هو من كمالِ الخُلُقِ والتَّواضُعِ.

* **وفيهِ** دليلٌ على جوازِ الشِّبَعِ، وما جاءَ في كراهَتِهِ مَحمُولٌ على المُداوَمَةِ عليه؛ لأنَّه يُقَسِّي القَلْبَ، ويُنْسي أمرَ المُحتاجينَ.

* **وفيهِ**: أنَّه ينبَغي لِمَنْ أهْدَى أن يُهْديَ ما يَحتاجُهُ المُهْدَى إليه، ويَعْلَمُ انتفاعَهُ بهِ.

* **وفيهِ**: أنَّه يُستَدَلُّ على خَيريَّةِ الرَّجُلِ بما يَظْهَرُ عليه من آثارِ الصَّلاحِ، لا سيَّما الصَّلاةَ؛ فإنَّها تَنْهَى عنِ الفَحْشاءِ والمُنْكَرِ.

* **وفيهِ**: أنَّ المَدْحَ يَنبَغي أن يكونَ بالأوْصافِ والأعمالِ التي مَدَحَ اللهُ أهلَها، فيَمْدَحُ بالإيمانِ والصَّلاةِ ونحوِها.

* وهكَذا الذَّمُّ، ينبَغي أن يكُونَ بما ذَمَّ اللهُ بهِ منَ الأوصافِ والأعمالِ، كالكُفْرِ والفُسُوقِ والعِصْيانِ.

* **وفيهِ**: الوَصيَّةُ بالخَدَمِ والعَبيدِ والضَّعَفَةِ، أن يَستَخدِمَهُم ويعامِلَهُم بالمَعرُوفِ.

* **وفيهِ**: الوصيَّةُ بالمُصلِّينَ وأهلِ الصَّلاحِ.

* **وفيهِ**: فَضلُ المَرأةِ الصَّالحَةِ، التي تُعينُ زوجَها على طاعَةِ اللهِ ومَرْضاتِهِ.

* **وفيه**: فضيلَةُ أبي الهَيثَمِ؛ حيث قَبِلَ النَّصيحَةَ من زوجتِهِ، وعَمِلَ بإشارَتِها عليه بالبَذْلِ والإيثارِ، دُونَ تَرَوٍّ أو تَرَدُّدٍ.

* **وفيه**: فضيلَةُ المَشُورَةِ الصَّالِحَةِ.

* **وفيه**: الحَثُّ على مُصاحَبَةِ الأخيارِ، والظَّفَرِ بهم؛ إمَّا زوجًا، أو رفيقًا صالِحًا يُعينُ المَرْءَ على طاعَةِ اللهِ، ويَدُلُّهُ على الخَيرِ ويأمُرُهُ بِهِ.

* **وفيه**: التَّحذيرُ من أهلِ السُّوءِ، لا يُدنيهِمُ الإنسانُ من نفسِهِ، فلا يَجعَل المَرأةَ السُّوءَ له زَوْجًا، ولا يَجعَل إخوانَ السُّوءِ له بطانَةً ولا إخْوانًا.

* **وفيه**: الإيمانُ بالقَدَرِ، وأنَّ كلَّ شيءٍ بقَدَرِ اللهِ تعالى وتَصريفِهِ.

* **وفيه**: افتِقارُ العبدِ إلى اللهِ تعالى، وحاجتُــه إليه في أن يُوفِّقَهُ لأهلِ الخَيرِ، وأنْ يَصرِفَ عنه أهلَ الشَّرِّ.

عن سَعْدِ بنِ أبي وقَّاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «إنِّي لَأوَّلُ رَجُلٍ أهْراقَ دَمًا في سَبيلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وإنِّي لَأوَّلُ رَجُلٍ رَمَى بسَهْمٍ في سَبيلِ اللهِ، ولَقَدْ رَأيتُني أغْزُو في العِصابَةِ من أصْحابِ محمدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ما نَأْكُلُ إلا ورَقَ الشَّجَرِ والحُبْلَةِ، حتى تَقَرَّحَتْ أشْداقُنا، وإنَّ أحَدَنا لَيَضَعُ كما تَضَعُ الشَّاةُ والبَعيرُ، وأصْبَحَتْ بَنُو أسَدٍ يُعَزِّرُوني في الدِّينِ! لَقَدْ خِبْتُ وخَسِرْتُ -إذًا-، وضَلَّ عَمَلي!»[1].

زادَ البُخاريُّ: «وكانُوا وشَوْا بِهِ إلى عمرَ، قالوا: لا يُحْسِنُ يُصَلِّي».

وقدْ رَوَى البُخاريُّ ذلك عن عبدِ المَلِكِ بنِ عُمَيرٍ، عن جابِرِ بنِ سَــمُرَةَ، قال: شَكا أهلُ الكُوفَةِ سَــعْدًا إلى عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَعَزَلَهُ، واسْــتَعْمَلَ عليهم عَمَّارًا، فَشَكَوْا، حتى ذَكَرُوا أنَّهُ لا يُحْسِنُ يُصَلِّي، فأرْسَلَ إليه، فقال: يا أبا إسْحاقَ، إنَّ هَؤُلاءِ يَزْعُمُونَ أنَّكَ لا تُحْسِنُ تُصَلِّي، قال أبو إسْــحاقَ: أمَّا أنا واللهِ، فإنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بهم صَلاةَ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ما أخْرِمُ عَنْها، أُصَلِّي صَلاةَ العِشــاءِ، فأرْكُدُ في الأُولَيَينِ، وأُخِفُّ في الأُخْرَيَــينِ، قال: ذاكَ الظَّنُّ بكَ يا أبا

(١) رواه البخاري (٣٧٢٨)، ومسلم (٢٩٦٦).

إسْحاقَ فأرْسَلَ مَعَهُ رَجُلًا أو رِجالًا إلى الكُوفَةِ، فَسَألَ عنه أهلَ الكُوفَةِ، ولَمْ يَدَعْ مَسْجِدًا إلا سَألَ عنه، ويُثْنُونَ مَعْرُوفًا، حتى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَني عَبْسٍ، فَقامَ رَجُلٌ منْهُم يُقال له: أُسامَةُ بنُ قَتادَةَ، يُكْنَى: أبا سَعْدَةَ، قال: أمَّا إذْ نَشَدْتَنا، فإنَّ سَعْدًا كان لا يَسيرُ بالسَّريَّةِ، ولا يَقْسِمُ بالسَّويَّةِ، ولا يَعْدِلُ في القَضيَّةِ.

قال سَعْدٌ: أما واللهِ لَأدْعُوَنَّ بثَلاثٍ: اللهُمَّ إنْ كان عبدُكَ هذا كاذِبًا، قامَ رياءً وسُمْعَةً، فأطِلْ عُمْرَهُ، وأطِلْ فَقْرَهُ، وعَرِّضْهُ بالفِتَنِ.

وكانَ -بعدُ- إذا سُئِلَ يقولُ: شيخٌ كَبيرٌ مَفْتُونٌ، أصابَتْني دَعْوَةُ سَعْدٍ.

قال عبدُ المَلِكِ بنُ عُمَيرٍ: «فأنا رَأيتُهُ بعدُ، قَدْ سَقَطَ حاجِباهُ على عَينَيهِ منَ الكِبَرِ، وإنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَواري في الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ»[1].

وقولُهُ: «**إنِّي لَأوَّلُ رَجُلٍ أهْراقَ دَمًا**» أي: أراقَهُ.

«**وَإنِّي لَأوَّلُ رَجُلٍ رَمَى بسَهْمٍ في سَبيلِ اللهِ**»:

قال الحافِظُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كانَ ذلك في سَريَّةِ عُبَيدَةَ بنِ الحارِثِ بنِ المُطَّلِبِ، وكان القِتالُ فيها أوَّلَ حَرْبٍ وقَعَتْ بينَ المُشْرِكينَ والمُسْلِمينَ، وهيَ أوَّلُ سَريَّةٍ بَعَثَها رسولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، في السَّنَةِ الأُولى منَ الهِجْرَةِ، بَعَثَ ناسًا منَ المُسْلِمينَ إلى رابِغَ لِيَلْقَوْا عيرًا لِقُرَيشٍ، فَتَرامَوْا بالسِّهامِ، ولَمْ يَكُنْ بينَهُم مُسايَفَةٌ، فَكانَ سَعْدٌ أوَّلَ مَنْ رَمَى، ذَكَرَ ذلك الزُّبَيرُ بنُ بَكَّارٍ بسَنَدٍ لَهُ، وقال فيه عن سَعْدٍ: إنَّهُ أنْشَدَ يومَئِذٍ:

ألا هَلْ أتَى رسولَ اللهِ أنِّي ... حَمَيتُ صَحابَتي بصُدُورِ نَبْلي»[2]

«**أغْزُو في العِصابَةِ**»: هُمُ الجماعَةُ منَ النَّاسِ، منَ العَشَرَةِ إلى الأربَعينَ، ولا واحِدَ لها من لفظِها[3].

---

(١) رواه البخاري (٧٥٥)، ومسلم (٤٥٣)، مختصرا.

(٢) فتح الباري (٧/ ٨٥).

(٣) تهذيب اللغة (٢/ ٢٩)، النهاية (٣/ ٢٤٣).

«ما نَأْكُلُ إلا ورَقَ الشَّجَرِ والحُبْلَةِ»:

قال في النهاية: «الحُبْلَةُ: ثَمَرُ السَّمُرِ، يُشبِهُ اللُّوبياءَ، وقيلَ: هو ثَمَرُ العِضاه»[١].

«حَتَّى تَقَرَّحَتْ أَشْداقُنا»، الأشْداقُ: جَمْعُ شِدْقٍ، وهو جانِبُ الفَمِ، أي: صارَتْ فيها أقْراحٌ وجِراحٌ من خُشُونَةِ الوَرَقِ الذي نَأْكُلُهُ وحَرارَتِهِ.

«وَإنَّ أحَدَنا لَيَضَعُ كما تَضَعُ الشَّاةُ والبَعيرُ»:

«لَيَضَعُ»: كِنايَةٌ عنِ الغائِطِ، أرادَ: أن نَجوَهُم يَخرجُ بَعْرًا ليُبْسِهِ من أكلِهم ورَقَ الشَّجَرِ، وعدَمِ الغِذاءِ المَأْلُوفِ[٢].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي هذا: بَيانُ ما كانُوا عليه منَ الزُّهدِ في الدُّنيا، والتقلُّلِ منْها، والصَّبرِ في طاعَةِ اللهِ تعالى على المَشاقِّ الشَّديدَةِ»[٣].

«وَأَصْبَحَتْ بَنُو أَسَدٍ» أي: ابن خُزَيمَةَ بنِ مُدرِكَةَ بنِ إلياسِ بنِ مُضَرَ.

قال الحافِظُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَبَنُو أَسَدٍ: هُم إخْوَةُ كِنانَةَ بنِ خُزَيمَةَ جَدِّ قُرَيشٍ، وبَنُو أَسَدٍ كانُوا فيمَنِ ارْتَدَّ بعدَ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتَبِعُوا طُلَيحَةَ بنَ خُوَيلِدٍ الأسَدِيَّ لَمَّا ادَّعَى النُّبُوَّةَ، ثُمَّ قاتَلَهُم خالِدُ بنُ الوَليدِ في عَهْدِ أبي بَكْرٍ وكَسَرَهُم، ورَجَعَ بَقِيَّتُهُم إلى الإسلامِ، وتابَ طُلَيحَةُ وحَسُنَ إسلامُهُ، وسَكَنَ مُعْظَمُهُمُ الكُوفَةَ بعدَ ذلك، ثُمَّ كانُوا مِمَّنْ شَكا سَعْدَ بنَ أبي وقَّاصٍ وهو أميرُ الكُوفَةِ إلى عمرَ، حتى عَزَلَهُ»[٤].

«يُعَزِّرُوني في الدِّينِ»، وفي روايَةِ البُخاريِّ: «تُعَزِّرُني على الإسلامِ».

قال الحافِظُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: تُؤَدِّبُني، والمعنى: تُعَلِّمُني الصَّلاةَ، أو تُعَيِّرُني بأنِّي لا أُحْسِنُها»[٥].

وقال الطَّبَريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «معناهُ: تُقَوِّمُني وتُعلِّمُني، ومنْهُ: تَعْزيرُ السُّلطانِ، وهو التَّقْويمُ بالتَّأديبِ».

---

(١) النهاية (١/ ٣٣٤).

(٢) ينظر: شرح النووي على مسلم (١٨/ ١٠٢)، تحفة الأحوذي (٧/ ٢٦)، جمع الوسائل (٢/ ١٩٦).

(٣) شرح مسلم (١٨/ ١٠١).

(٤) فتح الباري (١١/ ٢٩٠).

(٥) المصدر السابق (٧/ ٨٥).

والمعنى: أنَّ سَعْدًا أنْكَرَ أهليَّةَ بني أسَدٍ لِتَعْليمِهِ الأحكامَ، مع سابِقيَّتِهِ وقِدَمِ صُحبَتِهِ[١].

«**لَقَدْ خِبْتُ وخَسِرْتُ إذًا**» أي: إنَّني مع سابِقَتي في الإسلامِ، إذا كُنْتُ لا أُحْسِنُ الصَّلاةَ وأحتاجُ إلى تَعليمِهِم،كُنتُ خائِبًا خاسِرًا.

«**وَضَلَّ عَمَلي**» أي: فيما مَضَى من صَلاتي.

وقدْ ساغَ لَسَعْدٍ أن يَمدَحَ نَفْسَهُ، ومن شَأنِ المُؤمنِ تَركُ ذلك؛ لَمَّا عَيَّرَهُ الجُهَّالُ بأنَّهُ لا يُحْسِنُ الصَّلاةَ، فاضطرَّ إلى ذِكْرِ فَضلِهِ، والمِدْحَةُ إذا خَلَتْ منَ البَغْيِ والاستِطالَةِ، وكان مَقصُودُ قائِلِها إظهارَ الحَقِّ، وشُكرَ نِعمَةِ اللهِ؛ لَم تُكرَه[٢].

عن عُتْبَةَ بنِ غَزْوانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: «لَقَدْ رَأيتُني وإنِّي لَسابِعُ سَبْعَةٍ مع رسولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ما لَنا طَعامٌ إلا ورَقُ الشَّجَرِ، حتى تَقَرَّحَتْ أشْداقُنا، فالتَقَطْتُ بُرْدَةً، قَسَمْتُها بَيني وبينَ سَعْدٍ، فَما منَّا من أولَئِكَ السَّبْعَةِ أحَدٌ إلا وهو أميرُ مِصْرٍ منَ الأمْصارِ، وسَتُجَرِّبُونَ الأُمَراءَ بعدَنا».

هذا الحديثُ جُزءٌ من خُطبَةِ عُتبَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[٣]، وكان أميرًا على البَصرةِ، وقَدْ رواه مسلم بأتَمَّ مِمَّا هُنا، فعن خالِدِ بنِ عُمَيرٍ العَدَويِّ، قال: خَطَبَنا عُتْبَةُ بنُ غَزْوانَ، فَحَمِدَ اللهَ وأثْنَى عليه، ثُمَّ قال: «أمَّا بعدُ، فإنَّ الدُّنْيا قَدْ آذَنَتْ بصَرْمٍ[٤]، ووَلَّتْ حَذَّاءَ[٥]، ولَمْ يَبْقَ منها إلا صُبابَةٌ كَصُبابَةِ الإناءِ[٦] يَتَصابُّها[٧] صاحِبُها.

---

(١) المرجع السابق (١١/ ٢٩٠).

(٢) ينظر: تحفة الأحوذي (٧/ ٢٦)، المواهب اللدنية (ص٦٣١).

(٣) هو عُتْبَةُ بنُ غَزْوانَ بنِ جابِرِ بنِ وهْبِ بنِ نَسيبِ المازني أبو عبد الله، ويقال أبو غزوان، قال ابن سعد: «كان رجلًا طوالًا جميلًا، وهو قديم الإسلام، وهاجر إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية، وكان من الرماة المذكورين من أصْحابِ رسولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ»، وهو أوَّلُ مَنِ اخْتَطَّ البَصْرَةَ ونزلَها. ينظر لترجمته رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: الطبقات الكبرى (٣/ ٧٢)، التهذيب (٧/ ١٠٠)، أسد الغابة (٣/ ٤٦١)، البداية والنهاية (٩/ ٦٤١).

(٤) أوشَكَت على الذَّهابِ.

(٥) ذَهَبَت مُسرعةً مُنقطعةً.

(٦) البَقيَّةُ اليسيرَةُ منَ الشَّرابِ، تَبْقَى في أسْفَلِ الإناءِ.

(٧) يَشربُها.

وإنَّكُــم مُنْتَقِلُونَ منها إلى دارٍ لا زَوالَ لَها، فانْتَقِلُــوا بخَيرِ ما بحَضْرَتِكُمْ؛ فإنَّهُ قَدْ ذُكِرَ لَنا أنَّ الحَجَرَ يُلْقَى من شَفَةِ جَهَنَّمَ، فَيَهْوي فيها سَبْعينَ عامًا، لا يُدْرِكُ لَها قَعْرًا، ووالله لَتُمْلَأنَّ، أفَعَجِبْتُمْ؟!

ولَقَدْ ذُكِرَ لَنا أنَّ ما بينَ مِصْراعَينِ من مَصاريعِ الجَنَّةِ مَســيرَةُ أرْبَعينَ سَنَةً، ولَيَأْتيَنَّ عليها يومٌ وهو كَظيظٌ[1] منَ الزِّحامِ.

ولَقَدْ رَأيتُني سابعَ سَــبْعَةٍ مع رسولِ اللهِ ﷺ، ما لَنا طَعامٌ إلا ورَقُ الشَّجَرِ، حتى قَرِحَتْ أشْداقُنا[2]، فالتَقَطْتُ بُرْدَةً فَشَقَقْتُها بَيني وبيْن سَعْدِ بنِ مالِكٍ[3]، فاتَّزَرْتُ بنِصْفِها[4]، واتَّزَرَ سَعْدٌ بنِصْفِها، فَما أصْبَحَ اليومَ منَّا أحَدٌ إلا أصْبَحَ أميرًا على مِصْرٍ منَ الأمْصارِ.

وإنِّي أعُوذُ باللهِ أن أكُونَ في نَفْسي عَظيمًا، وعند اللهِ صَغيرًا.

وإنَّها لَمْ تَكُنْ نُبُوَّةٌ قَطُّ إلا تَناسَخَتْ[5]، حتى يكونَ آخِرُ عاقِبَتِها مُلْكًا.

فَسَتَخْبُرُونَ وتُجَرِّبُونَ الأُمَراءَ بعدَنا»[6].

قولُه: «وَسَــتُجَرِّبُونَ الأُمَــراءَ بعدَنا»: قال القاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إخْبارٌ بــأنَّ مَنْ بعدَهُم منَ الأُمَراءِ لَيسُوا مِثْلَ الصَّحابَةِ في العَدالَةِ والدِّيانَةِ، والإعْراضِ عنِ الدُّنْيا الدَّنيَّةِ، والأغْراضِ النَّفْســيَّةِ، وكان الأمْرُ كذلك، فهو مــنَ الكَراماتِ بالخَبَرِ عنِ الأُمُورِ الغَيبيَّةِ، وأشــارَ إلى الفَــرْقِ، بأنَّهُم رَأوْا منه ﷺ ما كان سَــبَبًا لِرياضَتِهِم ومُجاهَدَتِهــم، وتَقَلُّلِهِم في أمْرِ مَعيشَــتِهِم، فَمَضَوْا بعدَهُ على ذلك، واسْــتَمَرُّوا على ما هُنالِكَ، وأمَّا غَيرُهُم مِمَّنْ بعدَهُمْ: فَلَيسُوا كذلك»[7].

---

(١) مُتْلِئ.

(٢) أي: صارَ فيها قُرُوحٌ وجِراحٌ.

(٣) هُو: سعدُ بنُ أبي وقَّاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أي: جَعلَها إزارًا على نِصفِه الأسفلِ.

(٥) أي: تَحَوَّلَت من حالٍ إلى حالٍ، يعني: أمْرَ الأمَّة، وتَغايُرَ أحوالِها. النهاية (٥/ ٤٧).

(٦) رواه مسلم (٢٩٦٧).

(٧) جمع الوسائل (٢/ ١٩٧).

وفي القَدْرِ الذي ذَكَرَهُ المُصَنِّفُ منَ الفَوائِدِ:

* بَيانُ ما كان عليه أصْحابُ النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من كَمالِ الزُّهدِ، وخُشُونَةِ العَيشِ.

* بَيانُ عُلُوِّ هِمَّةِ أصحابِ النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وقُوَّتِهم في دينِ اللهِ، وكيف أنَّ فَقْرَهُم وعِوَزَهُم لَمْ يُقعِدْهُم عنِ الجِهادِ والغَزْوِ.

* إنعامُ اللهِ تعالى عليهم بالفَرَجِ بَعدَ الشِّدَّةِ، واليُسرِ بَعدَ العُسْرِ، والغِنَى بَعدَ الفَقْرِ.

* الإشارَةُ إلى فَضْلِ أصحابِ النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ على مَنْ بَعدَهُم، وهُم كذلك عامَّتُهُم وأُمَراؤُهُم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، كما قال النبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**خَيرُ النَّاسِ قَرْني...**»[1].

عن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لَقَدْ أُخِفْتُ في اللهِ وما يُخافُ أحَدٌ، ولَقَدْ أُوذيتُ في اللهِ وما يُؤْذَى أحَدٌ، ولَقَدْ أتَتْ عَلَيَّ ثَلاثُونَ من بَينِ يومٍ ولَيلَةٍ، وما لي ولِبِلالٍ طَعامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ، إلا شيءٌ يُواريهِ إبْطُ بلالٍ»[2].

«**لَقَدْ أُخِفْتُ**» بصيغَةِ الماضي المَجهُولِ، منَ الإخافَةِ، أي: هُدِّدْتُ، وتُوُعِّدْتُ بالتَّعذيبِ والقَتْلِ.

«**في اللهِ**» أي: بسَبَبِ إظهارِ دينِه.

«**وما يُخافُ أحَدٌ**» أي: خُوِّفْتُ وحْدي، وأُوذيتُ بانْفِرادي.

«**ولقَدْ أُوذيتُ**» أي: بالفِعْلِ، بعدَ التَّخْويفِ بالقولِ.

«**في اللهِ**» أي: في سَبيلِهِ، وطَريقِ رِضاهُ.

«**وما يُؤْذَى**» بالبِناءِ للمَجهُولِ «**أحَدٌ**» أي: منَ النَّاسِ في ذلك الزَّمانِ.

«**ولَقَدْ أتَتْ عَلَيَّ**» أي: مَرَّتْ ومَضَتْ.

---

(١) رواه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣).

(٢) رواه الترمذي (٢٤٧٢)، وصحّحهُ، وابن ماجَه (١٥١)، وأحمدُ (١٢٢١٢)، وصححه محققو المسند على شرط مسلم.

«**ثَلاثُونَ من بَينِ يَومٍ ولَيلَةٍ**»:

قال الطِّيبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تأكيدٌ للشُّمُولِ، أي: ثَلاثينَ يَومًا ولَيلَةً مُتواتِرات، لا يَنقُصُ منها شيءٌ منَ الزَّمانِ»[1].

«**وما لي ولِبلالٍ طَعامٌ**» أي: والحالُ أنَّه ليس لَنا طَعامٌ.

«**يَأكُلُهُ ذُو كَبِدٍ**» أي: حيَوان.

«**إلَّا شيءٌ**» أي: قَليلٌ جِدًّا.

«**يُواريهِ**» أي: يَسْتُرُهُ ويُغطِّيهِ.

«**إبْطُ بلالٍ**» الإبْطُ: ما تَحْتَ المَنْكِبِ، وتُكْسَرُ البـاءُ، وقَدْ يُؤَنَّثُ، والمعنى: أنَّ بلالًا كان رَفيقي في ذلـك الوَقْتِ، وما كان لَنا منَ الطَّعامِ إلا شيءٌ قَليلٌ، بقَـدْرِ ما يَأْخُذُهُ بلالٌ تَحْتَ إبْطِهِ، ولَمْ يَكُنْ لَنا ظَرْفٌ نَضَعُ الطَّعامَ فيهِ[2].

وفي الحديثِ منَ الفوائِدِ:

* الإشارَةُ إلى بَعضِ ما لاقاهُ النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منَ الأذَى في سَبيلِ ربِّه.

* مَنقَبَـةٌ عظيمَةٌ لبلالٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ حيث شَرُفَ بصُحبَـةِ النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والصَّبرِ مَعَه في هذا المَقامِ.

* بيانُ ما كان عليه النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابُهُ من كمالِ الزُّهدِ، وخشُونَةِ العَيشِ.

* تَسليَةُ الغُرباءِ آخِرَ الزَّمانِ إذا أُخيفُوا وغَيرُهُم آمنُونَ، أو أُوذُوا وغَيرُهُم مُعافُونَ.

---

(١) شرح المشكاة (١٠/ ٣٣١٧).

(٢) مرقاة المفاتيح (٨/ ٣٢٨٧-٣٢٨٨).

بابُ
ما جاءَ في
سِنِّ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أي: مِقدار عُمُرِهِ الشَّريفِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «مَكَثَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمَكَّةَ ثَلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إليه، وبالمدينَةِ عَشْرًا، وتُوُفِّيَ وهو ابنُ ثَلاثٍ وسِتِّينَ»[1].

«**مَكَثَ النبيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بمَكَّةَ**» أي: لَبِثَ بعدَ البَعْثَةِ بمَكَّةَ.

«**ثَلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً**»: هذا هو الأصَحُّ.

«**يُوحَى إليه**» يعني: يَنزِلُ إليه الوَحْيُ بَعدَ أن بُعِثَ.

«**وَبالمدينَةِ عَشْرًا**» أي: عَشرَ سِـــنينَ باتِّفاقٍ؛ فإنَّهُمُ اتَّفقُوا على أنَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقامَ بالمدينَةِ بعدَ الهِجرَةِ عَشرَ سِـــنينَ، كما اتَّفقُوا على أنَّه أقامَ بمَكَّةَ قَبلَ البَعثَةِ أربَعينَ سَنَةً، وإنَّما الخِلافُ في قَدْرِ إقامَتِهِ بمَكَّةَ بعدَ البَعثَةِ، هَلْ هيَ عَشْرُ سِنينَ، أم ثَلاثَ عَشرَةَ سَنَةً، أم خَمسَ عَشْرَةَ؟

(١) رواه البخاري (٣٩٠٢)، ومسلم (٢٣٥١).

والصَّحيحُ: أنَّها ثَلاثَ عَشرَةَ سَنَةً[١].

«وَتُوُفِّيَ وهو ابنُ ثَلاثٍ وسِتِّينَ»:

وهذه الرِّوايَةَ هيَ أصَحُّ الرِّواياتِ الوارِدَةِ في قَدْرِ عُمُرِ النبيِّ ﷺ.

قال الحافِظُ: «المُعْتَمَدُ: أنَّهُ عاشَ ثَلاثًا وسِتِّينَ، وما يُخالِفُ ذلك: إمَّا أن يُحْمَلَ على إلْغاءِ الكَسْرِ في السِّنينَ، وإمَّا على جَبْرِ الكَسْرِ في الشُّهُورِ»[٢].

ويُستَفادُ منَ الحديثِ: أنَّ مُدَّةَ الوَحيِ كانَتْ ثَلاثًا وعشرينَ سَنَةً، ثلاثَ عَشرَةَ سَنَةً بمَكَّةَ، وعَشْرًا بالمدينَةِ.

وكذلك يُستَفادُ منْهُ: أنَّ عُمُرَ النبيِّ ﷺ كان ثَلاثًا وستِّينَ سَنَةً.

عن جَريرٍ[٣]، عن مُعاويَةَ رضي الله عنه، أنَّهُ سَمِعَهُ يَخْطُبُ قال: «ماتَ رسولُ اللهِ ﷺ وهو ابنُ ثَلاثٍ وسِتِّينَ، وأبو بَكْرٍ، وعمرُ[٤]، وأنا ابنُ ثَلاثٍ وسِتِّينَ»[٥].

«ماتَ رسولُ اللهِ ﷺ وهو ابنُ ثَلاثٍ وسِتِّينَ، وأبو بَكْرٍ، وعمر»:

أي: كذلك، والمعنى: أنَّ كلًّا منْهُما ماتَ وعُمُرُهُ ثلاثٌ وسِتُّونَ سَنَةً.

«وَأنا ابنُ ثَلاثٍ وسِتِّينَ» أي: وأنا مُتَوَقِّعٌ أن أمُوتَ في هذا السِّنِّ؛ مُوافَقَةً لهم، ولَكِنَّه لَمْ يَمُتْ إلا وهو قَريبٌ منَ الثَّمانينَ، رضي الله عنه[٦].

ويُستَفادُ منَ الحديثِ: حُبُّ الصَّحابيِّ الجليلِ مُعاويَةَ بنِ أبي سُفيانَ رضي الله عنهما أن يُوافِقَ عُمُرُهُ عُمُرَ النبيِّ ﷺ وصاحِبَيهِ؛ وذلك من مَحَبَّتِه لهُم.

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٥/ ٩٩)، شرح الزرقاني على الموطأ (٤/ ٤٤٢).

(٢) فتح الباري (٩/ ٤).

(٣) هو جرير بن عبد الله البجلي الصحابي رضي الله عنه، تقدمت ترجمته.

(٤) وقيل في سن عمر رضي الله عنه غير ذلك، ينظر: الطبقات الكبرى (٣/ ٢٧٨)، تهذيب التهذيب (٧/ ٤٤١).

(٥) رواه مسلم (٢٣٥٢).

(٦) جمع الوسائل (٢/ ٢٠٠)، تقريب التهذيب (ص ٥٣٧).

عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ماتَ وهو ابنُ ثَلاثٍ وسِتِّينَ سَنَةً»[١].

وهذا هو الذي عليه جُمهُورُ أهلِ العِلْمِ.

عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «تُوُفِّيَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو ابنُ خَمْسٍ وسِتِّينَ»[٢].

وقَدْ وردَ في عُمُرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلاثُ رِواياتٍ:

الأُولى: أنَّه ماتَ على رَأسِ السِّتِّينَ.

والثانيةُ: أنَّه ماتَ ابنُ ثَلاثٍ وستِّينَ.

والثالِثَةُ: أنَّه ماتَ وهو ابنُ خَمْسٍ وسِتِّينَ.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «واتَّفَقَ العُلَماءُ على أنَّ أصَحَّها ثَلاثٌ وسِتُّونَ، وتَأوَّلُوا الباقي عليه:

فَروايةُ سِتِّينَ: اقْتَصَرَ فيها على العُقُودِ، وتَرك الكَسْر.

و**روايةُ الخَمْسِ**: مُتَأوَّلَةٌ أيضًا، وحَصَلَ فيها اشتِباهٌ، وقَدْ أنْكَرَ عُرْوَةُ على ابنِ عَبَّاسٍ قولَهُ: «خَمْسٌ وسِتُّونَ»، ونَسَبَهُ إلى الغَلَطِ، وأنَّهُ لَمْ يُدْرِكْ أوَّلَ النُّبُوَّةِ، ولا كَثُرَتْ صُحْبَتُهُ، بخِلافِ الباقينَ.

واتَّفَقُوا أنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقامَ بالمدينَةِ بعدَ الهِجْرَةِ عَشْرَ سِنينَ، وبمَكَّةَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ أرْبَعينَ سَنَةً، وإنَّما الخِلافُ في قَدْرِ إقامَتِهِ بمَكَّةَ بعدَ النُّبُوَّةِ، وقَبلَ الهِجْرَةِ، والصَّحيحُ: أنَّها ثَلاثَ عَشْرَةَ، فَيكونُ عُمْرُهُ ثَلاثًا وسِتِّينَ.

وهذا الذي ذَكَرْناهُ أنَّهُ بُعِثَ على رَأْسِ أرْبَعينَ سَنَةً، هو الصَّوابُ المَشْهُورُ الذي أطْبَقَ عليه العُلَماءُ.

---

(١) رواه البخاري (٣٥٣٦)، ومسلم (٢٣٤٩).

(٢) رواه مسلم (٢٣٥٣).

ووُلِدَ عامَ الفيلِ على الصَّحيحِ المَشْـهُورِ، وقيلَ: بعدَ الفيلِ بثَلاثِ سِـنينَ، وقيلَ: بأرْبَعِ سِنينَ، وادَّعَى القاضي عياضٌ الإجْماعَ على عامِ الفيلِ، وليس كما ادَّعَى»[1].

عن أنَسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «كانَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس بالطَّويلِ البائِنِ، ولا بالقَصيرِ، ولا بالأبْيَضِ الأمْهَقِ، ولا بالآدَمِ، ولا بالجَعْدِ القَطَطِ، ولا بالسَّبْطِ، بَعَثَهُ اللهُ تعالى على رَأْسِ أرْبَعينَ سَنَةً، فأقامَ بمَكَّةَ عَشْرَ سِنينَ، وبالمدينَةِ عَشْرَ سِنينَ، وتَوَفَّاهُ اللهُ على رَأْسِ سِتِّينَ سَنَةً، وليس في رَأْسِهِ ولِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعْرَةً بَيضاءَ»[2].

تَقَدّمَ شَرحُ هذا الحديثِ في أوّلِ الكِتابِ.

(١) شرح صحيح مسلم (١٥/ ٩٩).

(٢) رواه البخاري (٣٥٤٨)، ومسلم (٢٣٤٧).